چيرو: وزيرة فرنسية لها فلسفة

● فرانسواز: السياسة هى المجال الوحيد لممارسة الجنون.

تماضر توفيق

■■ الحياة هى اليوم وليست الغد.. هى اللحظة التى تمر علينا الآن وليست التى ننتظرها.. والسياسة هى المجال الوحيد لممارسة الجنون والموضة هى اللغة الصادقة التى تعبر عن نفسية المرأة أكثر مما يفصح عنها أدق كشف طبى.. وأن هناك مؤامرة حيكت منذ قرون لإبقاء المرأة فى مركز العبودية ولا خلاص لها إلا بالاستقلال الاقتصادى وأن تكون فى موضع الرغبة دائما من الرجل لا أن تدفع به إلى غسل الصحون.. وإن تحديد النسل هو قيد على المرأة يضعها فى مكان المسئولية واتخاذ القرار.

هذه كلها آراء فرانسواز چيرو وزيرة شئون المرأة الفرنسية تعرض مختلف جوانب حياتها منذ أن بدأت بالعمل فى السينما.. ومراقفها من بعض القضايا الاجتماعية.. تضمنها كتاب صدر عنها أخيرا!!

■■

قالت فرنسواز عن عملها فى مجال السينما فى بدء حياتها إنها عملت فتاة «سكريبت» وإنها اكتشفت من خلال هذا العمل.. أنه عالم مجنون وأول ما يلفت النظر فيه هم العاملون أنفسهم.. لأنه لم يكد أن يتجمع حوالى ثلاثين أو أربعين شخصا فى عمل واحد قد يصل إلى بضعة أشهر يعيشون ويسافرون ويعملون خلالها كأصدقاء أو كأسرة واحدة حتى إنه قد يقع أحدهم فى حب آخر أو يكره أحدهم ويحس بالغيرة من آخر.. إلا أنه بمجرد الانتهاء من العمل وكثيرا ما يكون فى فيلم أن ينفصم عقدهم.. وتبدأ الحلقة من جديد مع فيلم جديد وأناس وأماكن جديدة..

لقد كان عالم السينما فى ذلك الوقت عالما تحوطه الأسرار والأقاويل والإشاعات يختلف تماما عن عالمنا اليوم، فنحن نرى اليوم الممثلين على حقيقتهم، نراهم فى كثير من الصور بلا مكياج، ونراهم يقدمون الإعلانات عن السيارات والأجهزة الكهربائية ونراهم كأشخاص عاديين ليسوا فوق مستوى البشر.. لقد كانت «بريجيت باردو» آخر هذا الطراز، وهى وبيرتون والزابيث تيلور وحتى هؤلاء لم يكونوا مثل مثلى أوائل القرن.. إن أهل الفن لا يسكنون جبل أوليب فى يومنا هذا..

■■ لماذا، لأن السينما ليس بها جابرة؟!

- لا، السينما لا تنعم اليوم بفنانين حقيقيين يحبون فنهم لذاته ويذكروننا بفرقة الأقزام التى تجوب قرية ما، لا تختلط بأهلها، بل تجلس بعيدا، والناس تنظر إليها من بعيد تعتقد أنها بمعزل عن هذه الدنيا. لقد بدأ الفن بأشخاص مثل «موليير» اضطروا إزاء تحفظ المجتمع أن يختلطوا بالناس، ثم ثغير الحال وأصبح الفنان شخصا يعيد المثل، يتزين بالملس ويأكل الكافيار..

أما اليوم فإننا قد نقابل إحدى نجمات السينما وهى تقوم بمشترياتها، ونرى البعض منهم يشترك فى توقيع البيانات التى تنادى بتغيير قانون الطلاق.. فكيف يمكن لشخص يتصرف هكذا أن يلهب خيال أحد؟ إن فنان السينما اليوم شخص خلاق ولقد تطور فن السينما تطورا رائعا..

كان لتعيين السيدة فرنسواز چيرو وزيرة لشئون المرأة صدى هائل فى فرنسا وفى العالم.. فالسيدة فرنسواز چيرو كانت رئيسة لتحرير عدد من المجلات الشهيرة.. وهى فى نفس الوقت من المشتغلات بتحرير المرأة الفرنسية أيضا.

وقد صدر عنها كتاب على شكل حوار ممتع معها. وقد أعجبنى من هذا الكتاب هذه القضايا. أعرضها بإيجاز..

تحرر المرأة

■■ هل كنت من أنصار حركة تحرر المرأة؟

- بالعكس، لم أكن أحب صحبة الفتيات، كن يجعلنى ملوله، وكنت لا أحب الاشتراك فى القصص التافهة التى يثرثرن بها، كما كنت أغضب لأنهن يستخدمن جمالهن لإثارة الرجال ثم بيكين، كنت كالخائن الذى انضم إلى معسكر الأعداء، معسكر الرجال.. والواقع أنى لم أتبين العلاقة بين الأيديولوجية وأحوال المرأة إلا بعد ذلك بعد طويلة. ويمكن القول إلى لم أمر فى مرحلة المذلة لأنى لم أعان أبدا من سيطرة الرجال، لم

أعتمد اقتصاديا على رجل فكانت نظرتي إلى المرأة في الماضي أنها مخلوق ضعيف كثير الشكوى وذليل. وأنها هي السبب في ذلك وليس أحد غيرها.

■■ ولكن من الطبيعي أن تتأثر المرأة بالرجل. والعكس صحيح أيضا.!

- نعم. هناك قصة طريفة لتشيكوف يحكي فيها قصة سيدة جبلة براها قليلا بين المين والمين ولكنه يعرف الكثير عن عشاقها من كلامها لهي مرة تتحدث عن الري ومرة عن الجيش ومرة ثالثة عن القضاء.. وذات يوم ذهب لزيارتها وقد تقدم بها العمر ليجدها تتحدث عن جدول الضرب ويدهش كيف يمكن لها أن تصادق تلميذا، وفجأة يدخل الغرفة غلام مراهق وتقدمه قائلة «أريدك أن تقابل حفيدي».

■■ وعن المرأة العاملة، ماذا تقولين؟

- يعتقد الناس أن المرأة العاملة لا تضطهد خلال عملها بمشاكل وعرة، حتى في الوقت الذي وصلت فيه المرأة إلى أكبر المناصب وأصبحت تنافس الرجل منافسة شديدة وحتى وقت عملي في مجلة الإكسبريس أستطيع أن أقول لك بكل أمانة إن علاقاتي مع من أعرفهم من الرجال لم تساعدني أو تعوقني في عملي، لأني كنت أنظر إلى كل من عرفته من الرجال كصديق لا كحبيب، ولست ممن يخلطون بين الأمرين وكنت لا أنظر إلى الرجل نظرة السيد، لأني كنت أعتقد أن الرجل الوحيد الذي يحق لي أن أتطلع اليه لابد أن يشبه أبي، وكانت صورة أبي في ذهني تشبه الأسطورة وليس من السهل على الشخص أن ينافس أسطورة.

والغريب أنه بمجرد أن تتخطى المرأة الحدود لتدخل في أرض الرجل يبدأ التنافس يأخذ شكلا جديدا، ويبدأ الصراع يتغير، ويبدأ الرجال في إنقاص حجم المرأة ويرجعون كل مشكلة تقع إلى حقيقة أنها امرأة، ولو أن واحدا منهم تعرض لنفس المصاعب لما تمكن من استعراض حساته ومهارته التي يتطلبها هو من المرأة. إن التطور الهائل الذي يحدث في مركز المرأة اليوم وما ننتظر له من دوام الاطراد هو من أهم الأمور التي يجب أن تواجهها المجتمعات المتقدمة اليوم.

■■ هل توافقين على تحديد النسل؟

- هناك أمر هام وهو إشراك الشعب في صنع القرارات، لقد اندلعت الشرارة ولن تنطفيء، وسيظهر أثرها أول ما يظهر على العائلة.. لقد أصبح الإنجاب، بفضل حبوب منع الحمل لأول مرة في التاريخ بين يدي المرأة، وأهمية هذا ترجع إلى أن القرار أصبح من حق المرأة.. وهذا الحق يضع المرأة في نفس مكان المسئولية كالرجل تماما، ونحن نشهد اليوم حركة تنادي بأن تتحمل المرأة نفس المسئوليات الاجتماعية التي يتحملها الرجل، كما نرى حركة أخرى تنادي بأن تتولى المرأة مناصب السلطة.. والمرأة في مركز السلطة ليست بحاجة إلى إثبات رجولتها، كما يفعل بعض الرجال، ولا هي بحاجة إلى من يؤكد سلطانها، كما يفعل بعض الرجال. ولذلك فإن تقلد المرأة مناصب السلطة على نطاق واسع لا بد حتما سيؤدي إلى تغييرات جذرية في الأمور الإنسانية.

المرأة والسلطة

■■ ماذا سيحدث للمرأة إذا تقلدت مناصب السلطة؟ هل ستصاب بالخوف على أنوثتها؟ وماهي الأنوثة؟

- منذ أن أطلق فرويد تعبير «القارة المظلمة» مشيرا إلى الأحاسيس الجنسية للمرأة، وأتبعه بسؤاله «ماذا في الحقيقة تبغي المرأة»؟ تخبط العلماء في هذا السر، ولا أظن أن أحداً غير المرأة نفسها سيصل إلى إماطة اللثام عنه. إن النظريات حول المرأة شيء والتخفيف شيء آخر وخاصة من وجهة نظر المرأة نفسها.. وكنت في الماضي أتعجب للموقف الذي تنادى به امرأة مثل سيمون دي بوفوار، لا بسبب ما تقوله، بل بسبب أنها وهي التي تحث المرأة على الحرية تعيش على الأقل ماديا في ظل رجل يتقاضى مرتبا لا بأس به. وأدبيا تحت لواء رجل معروف مثل جان بول سارتر.. ولا أحد منا يستطيع أن ينكر أن حياتها الخاصة سعيدة - لأن علاقتها مع سارتر سعيدة وهذا أمر نادر جدا في العلاقات الشخصية الثنائية. ولكن إذا

● فرنسواز جيرو.. وزيرة لها فلسفة

قنا هذه العلاقة على صعيد المرأة لوجدنا أنها تعرض نفسها على رجلها، امرأة تعيش لأجل ومن خلال رجل.. والحل الوحيد في رأيي أمام المرأة هو الاستقلال اقتصاديا، وهو الاستقلال الذي بدونه لا يمكنني أن أفهم معنى «كلمة الحرية».. إن الاستقلال الذي هو الركيزة الأولى لكل الحريات. وفي نفس الوقت قد تجد نساء يتعمدن لكونهن معتمدات اعتمادا كليا على الرجال، نساء يسعدن بمد اليد لطلب النقود من رجل يشعر بالمرارة كل مرة يضطر فيها إلى دفع فاتورة الكهرباء. هذا في رأيي هو الجحيم بعينه.

■■ أريد أن أعرف دور الزوج في هذه الحالة؟

- إن الشخص الذي يحمل لزوجته كل تقدير. لا يرغمها على أن تبدو بجانبه تمثل دور ربة البيت، والأم والزوجة التي ترفل في حلل السعادة. وكأن المرأة المسكينة لا عمل لها ولا شخصية بدون زوجها، وأنا في الواقع أفضل ما يحدث في السويد، فزوجة رئيس الوزراء تعمل أستاذة في الجامعة وأعتقد أن الشعب سيغضب لو تركت منصبها هذا..

مؤامرة منذ قرون

قد تقول إني من أنصار المرأة، وأنا أقول لك كما قلت من قبل: كلا. لست من أنصار المرأة بالمعنى المفهوم لهذا التعبير.. وما أعنيه هو أن ثمة مؤامرة دبرت عبر القرون، ودبرت عالميا، لإبقاء المرأة في مركز العبودية.. والحقيقة أن تاريخ البشرية لم يفرق بين الرجل والمرأة عندما قضت الظروف. ففي أيام العبودية كانت المرأة تباع مثل الرجل تماما، وتعمل مثل الرجل تماما. ولما حلت الآلة محل الإنسان وعندما أصبح لزاما على المرأة أن تجد نسلها، وعندما أصبح الطب متقدما، أخذ الرجل يتشبث بالعادات البالية، والعادات التي لم تقم على قانون الحضارات بل على تقاليد موروثة، عندئذ تحدث الثورة، وهذا هو الحال اليوم مع النساء لقد تغيرت الظروف ولكن التقاليد والعادات لا تزال راسخة والمرأة ترفض هذه التقاليد وتثور وهي على حق في ذلك، فالمرأة اليوم تنتج بقدر ما ينتج الرجل في أي مجال. إن ثورة المرأة هي تطور طبيعي لشئون البشر، وتطور صحيح، ولكن عندما يأخذ هذا التطور شكل الكراهية للرجل، فأعتقد أن هذا غباء، وفي رأيي أن المرأة الذكية إذا أرادت فعلا أن تجرح الرجل في شعوره فما عليها إلا أن تكون موضع رغبة، لا أن تدفعه إلى المطبخ ليغسل الأطباق.

الموضة لغة المرأة

■■ هل أنت مهتمة بالموضة؟

- طبعا أنا دائما أهتم بالموضة. وأعتقد أن اليوم الذي يتوقف فيه اهتمامي بالأزياء والموضات هو اليوم الذي تكون فيه إحدى قدمي قد قاربت القبر، ولكن الذي يثير اهتمامي فعلا هو لغة الموضة. كيف تحاول المرأة أن تقول شيئا من خلال الطريقة التي تختار بها ملابسها أو تتزين أو تصفف شعرها. واعتقادي أن هذه اللغة تفصح عن حالتها النفسية أكثر مما يفصح أدق كشف طبي لحالتها الجسمانية.

إن اختيار المرأة لملابسها يتم عن علاقة شخصية بينها وبين جسمها وصورتها، وهذا الاختيار يكشف عن نية المرأة تجاه نفسها ماذا تريد أن تكون، كيف ستتحمل عبء مسئولياتها، وفي بعض الأحيان يكون هذا الاختيار وسيلة لإخفاء ما ترضى عنه المرأة كي نفسها.. وقد لاحظت أن المرأة التي ترتدي ثيابا محتشمة وقورة هي المرأة التي تتذكر كل نسيان ارتدته غيرها أثناء فعل ما، كما أنها تتذكر كل نسيان ارتدته في كل مناسبة من مناسبات حياتها. المرأة تهتم جدا بوصف الأزياء وللألوان أثرها على النفسية. واليوم نقول إن المرأة التي ترتدي البنطلون لا بد أنها تختلف كثيرا عن تلك التي كانت ترتدي الجونلة المنقوشة المحاطة بأسلاك من حديد.. نعم، إن الطريقة التي تختار بها المرأة ثيابها لها علاقة وثيقة بموقع هذه المرأة في المجتمع.

■■ أريد أن أعرف رأيك في السياسة؟

- السياسة هي أحسن ميدان لممارسة الجنون، أقصد جنون العظمة. لأنها ميدان يقحم فيه الخصم خصمه لدرجة أنه يريد الفوز عليه، مثل ما يحدث في حلبة المصارعة تماما. وهذا هو السبب الذي يجعلني دائما من الخوض في السياسة أو الاشتغال بها، لأن آراء الناس الآخرين تهمني جدا ولا أكرههم بسببها. قد أختار مهنة مثل مصممة أزياء، أو طاهية أو كوافيرة أو سائقة كل هذا يرضيني، ولكن ما لا يرضيني هو أن أشهد حربا أهلية، مهما اتخذت هذه الحرب من أشكال. لا أحب الاتهامات التي توجه جزافا والتي تليها الاعتقالات والتعذيب.

المستقبل والحياة

■■ وماذا عن المستقبل؟

- ليست لدي أدنى فكرة، ولا أريد أن تكون لدي، إن الحياة ليست الغد. إنها اليوم واللحظة التي نحياها. إنها النبات الذي تراه أمامك وقد تفتحت أوراقه، إنها حفيدي هذا الذي يدخل من الباب الآن. لقد أزف وقت ذهابي للعمل، وأنت تعطلني عن عملي، تعطلني عن قرار أتخذه أو رأي أقوله. إن الحياة هي السعادة والأمل إنها اليوم وليست غدا.

■

تأملات من البحرين..

البحرين - من أحمد كامل عوض :

وسط ديناميكية الحياة وعالم العصر الحديث الذى لا يهدأ .. كثيرا ما يحتاج الإنسان إلى أن يخلو إلى نفسه ، ويلجأ إلى التفكير والتأملات ، لبجد تفسيرا للظواهر التى من حوله ..

وخلال تأملاتى .. تذكرت قصة يتناقلها الأجداد والآباء .. قصة شخصين خير كل منهما بين أحد اثنين .. المال .. أو العلم ..

واختار الأول المال .. وأخذ ينفق منه بلا حساب أو تفكير حتى نفد .. فأصبح بلا مال ولا علم .. أما الثانى .. فقد اختار العلم .. وعن طريق التخطيط والتفكير والتدبير .. حصل على المال .. فامتلك المال والعلم ..

أذكر هذا بمناسبة زيارتى الأخيرة للبحرين التى أصبحت من أكبر المراكز المالية والتجارية فى منطقة الخليج والشرق الأوسط ، وعلى الرغم من أن موارد الدخل الرئيسية للبحرين هى البترول والتجارة فإن التجارة البحرينية ، تكاد تنافس الآن بترول البحرين ..

والتجارة .. علم وتجربة وفن .. وقد استطاعت البحرين عن طريق خدماتها وتيسيراتها وسهولة اتصالاتها بالعالم ، أن تستقطب رجال المال والأعمال والبنوك لتكون مركزا لنشاطهم ولست مبالغا إذا قلت إن أدنى وصف لظاهرة البنوك هناك ، هو أنك إذا سرت فى المنامة عاصمة البحرين فستجد بجوار كل بنك .. (بنك) وبين كل بنك وبنك .. (بنك) ويبلغ مجموع البنوك فى البحرين حوالى ٩٠ بنكا منها حوالى ٢٨ بنكا أهليا والباقى بنوك أوف شور وجميعها تعمل وتربح وترأس مالها فى زيادة مستمرة وبدون توقف ..

● ● والعلم والتعليم الذى وصلت عن طريقه البحرين إلى هذا المركز المالى والتجارى ، ليس غريبا علينا .. أو مستحدثا بها .. فالبحرين .. من أقدم دول الخليج اهتماما بالثقافة والتعليم وكانت أول مدرسة أقيمت بها هى مدرسة الهداية الخليفية الابتدائية عام ١٩١٩ .

وعلى الرغم من التطور الذى حققته دولة البحرين فى مختلف مراحل التعليم ، والأخذ بأساليب التكنولوجيا الحديثة فى مختلف قطاعات حياتها .. فإن أهم ما يجذب الانتباه فى مجال التعليم ، اهتمامها بتطبيق برامج تعليم الأعمال اليدوية فى المدارس كنوع من الربط بين المناهج العلمية فى المدارس ، ومشروعات التنمية من ناحية ومن ناحية أخرى إحياء للصناعات القديمة التى تشتهر بها البحرين والتى لا تزال صامدة رغم التقدم الصناعى والتكنولوجى مثل صناعة السفن والفخار واللؤلؤ والحدادة والصياغة ..

وقد بدأت برامج تدريس الحرف اليدوية فى المدارس عام ١٩٦٧ عندما تم إرسال أول بعثة تخصصية من أبناء البحرين إلى انجلترا لدراسة التربية الفنية والحرف اليدوية ، وبعد عودتها تم تعيين أعضائها فى ٥ مدارس إعدادية تضم ورشا للنجارة وأخرى لصناعة الفخار ، ثم طبقت بعد ذلك فى ٥ مدارس أخرى حيث أصبحت الحرف اليدوية تدرس فى منهج المرحلة الإعدادية بالسنتين الأولى والثانية ..

وفى عام ١٩٧٣ .. أدخلت مادة أشغال المعادن إلى مقرر الحرف اليدوية فى معظم المدارس الإعدادية ، وسوف تعمم فى جميع المدارس خلال السنوات القادمة بإذن الله ..

● ● هذا .. وتقوم وزارة التربية والتعليم بوضع الدراسات المنهجية لتطوير المرحلة الإعدادية من سنتين إلى ثلاث سنوات . ومن هذه المناهج : منهاج يحتوى على المجالات العملية التى تشمل الحرف اليدوية . القطاع الصناعى - التدبير المنزلى - العلوم التطبيقية - الموسيقى - البناء - والمجال التجارى .

ويخضع هذا التطور فى المنهاج الدراسى وخاصة فى المرحلة الإعدادية لأهداف عامة أساسية ، أهمها التخلص من التمييز القاسى بين أنواع التعليم المختلفة كالتعليم العام والعلمى والفنى والمهنى ، حتى يصبح التعليم ابتداء من المرحلة الابتدائية حتى الثانوية نظريا وتكنولوجيا وعمليا ويدويا فى نفس الوقت .. ويطبق مشروع المجالات العملية حاليا فى المرحلة الإعدادية أولا .. بصفتها المرحلة الوسطى ومن ثم يطبق فى المرحلتين الابتدائية والثانوية .

● ● ويهدف البرنامج إلى تحصيل الدراسات الفنية والمهنية كجزء من التعليم العام من السنوات الأولى للدراسة ، حتى السنوات الأولى من التعليم الثانوى بنفس الطريقة التى تحصل بها اللغات الأساسية والحساب والمهارات الاجتماعية والثقافية ، وفى بعض البلدان يشكل التعليم الفنى والمهنى منهجا منفصلا فى التعليم العام الرسمى . بينما يقع فى بلدان أخرى ضمن إطار المنهج الشامل للتعليم العام ، وفى كلتا الحالتين يرى المسئولون بوزارة التربية والتعليم فى البحرين أن البرامج يجب أن تتضمن الناحيتين النظرية والعملية كى نحافظ على توازن مناسب بينهما ، ويجب من ناحية أخرى ألا يؤدى تكامل التعليم الفنى والمهنى فى جسم التعليم العام إلى جعله أكاديميا بل يجب أن يؤدى على العكس من ذلك ، إلى خلق تعليم عام أكثر مرونة يعد الفرد لفهم بيئته والإحاطة بها ، ويجعله أكثر نفعا للبلد كعضو منتج فى المجتمع .

● ● وتهدف الجوانب الفنية والمهنية للتعليم العام فى النظام الرسمى . إلى أن تخدم ثلاثة أغراض فى نفس الوقت الذى توجه فيه لمحو تحقيق المتطلبات التربوية لكافة الفئات ، وتوسيع الآفاق التربوية لكافة الناس ، وإعداد الذين لديهم الطاقة والاهتمام فى مجال التعليم الفنى والمهنى للحياة المهنية ، وتزويد أولئك الذين يضطرون لقطع تعليمهم العام فى أى مستوى دون أن تكون لديهم أهداف مهنية محددة ، بخبرات عملية معينة واتجاهات ومهارات تمكنهم من العمل والتدريب أثناء الخدمة .

كما تخدم الجوانب الفنية والمهنية داخل النظام الرسمى قضية الديمقراطية بطريقتين رئيسيتين ، فهى تسهم أولا بكونها جزءا لازما من تعليم كل فرد فى تغيير الآراء القديمة التى تعتبر كل الدراسة الفنية والمهنية أقل شأنا من الحقول الدراسة . وثانيا أن التعليم الثانوى قد خدم فى الماضى أغراضا انتقائية معينة ..

وبعد .. إن مجالات التأمل فى البحرين كثيرة ومتعددة .. فإلى لقاء جديد .. مع تأملات أخرى من البحرين . ●

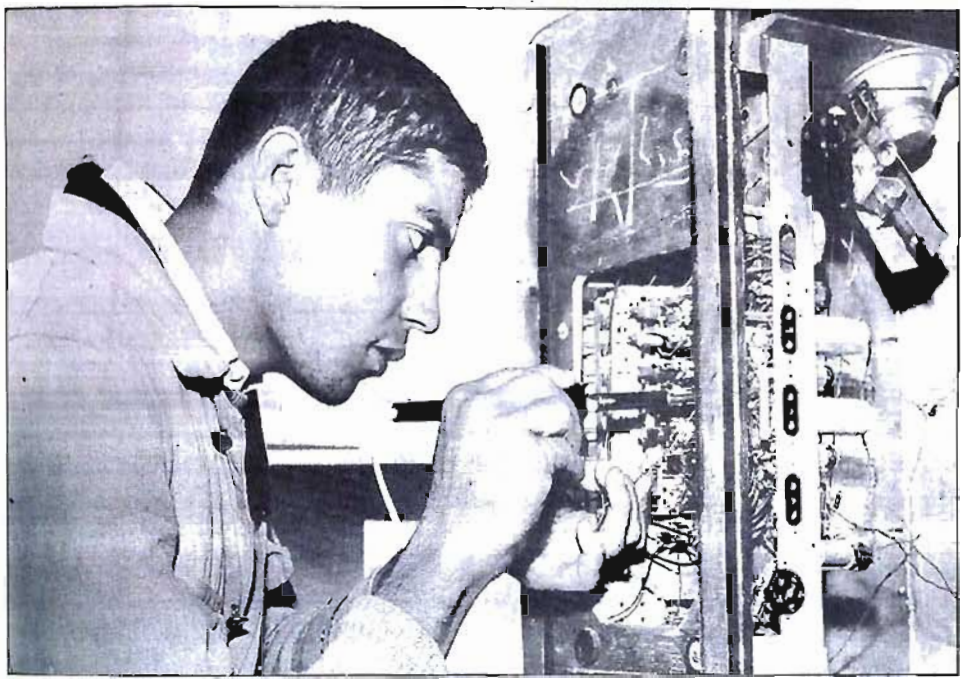

● التدريبات العملية على الحرف والمهن اليدوية .. جنبا إلى جنب مع الأخذ بأساليب التكنولوجيا الحديثة ..